نحو مصطلح آثاري موحد

ملخّص: أظهرت نتيجة البحث العلمي المطرد، في الفروع المختلفة لعلم الآثار، العديد من المصطلحات والأسماء الجديدة بلغات أجنبية، أبرزها الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرها. ورغبة من مجلة أدوماتو في حث الباحثين والمتخصصين العرب، على الإسهام في تأصيل، وربما تعريب، عدد من المصطلحات الآثارية، فقد خصصت هذه الزاوية لتمكين الراغبين في تناول عدد من الأمثلة، وابداء وجهة نظرهم العلمية حولها، والإشكاليات الناتجة من استخدامها، سواءً أكانت مرتبطة بالجوانب الآثارية الحضارية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية، أم التقنية... وغيرها.

المصطلح لأدوات عصور ما قبل التاريخ

أحمد يوسف ذياب

يكتنف الكتابة في الموضوعات المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ، شيء من الصعوبة. ويُعزى سبب ذلك إلى قلة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية في هذا المجال. فهذا العلم يعد من أحدث العلوم الأثرية، التي دخلت البلاد العربية، وأضيقها انتشاراً بين صفوف الآثاريين؛ لاعتماده على الأدوات الحجرية والعظمية مصادر رئيسة له، الأمر الذي يجعله غامضاً نوعاً ما، حتى على بعض الآثاريين المختصين في العصور التاريخية.

دخل علم عصور ما قبل التاريخ البلدان العربية حاملاً معه مشاكل اصطلاحية كثيرة، جاءت نتيجة طبيعية لنقل المصطلحات من تسميتها الأصلية في اللغات الأجنبية، إلى اللغة العربية، شأنه في ذلك شأن أي علم جديد يدخل الوطن العربي. وإذا كان بعض الباحثين العرب قد ألّفوا كتباً ومقالات باللغة العربية حول هذا الموضوع[1]، فإن جهودهم في إيجاد تسميات عربية خاصة بعصور ما قبل التاريخ لم تفلح كثيراً، وظلت أغلب مصطلحات هذا العلم أسيرة الترجمة الحرفية، لانعدام معايير محددة تضبط عملية الترجمة، وتمكّن القاريء من التعرف على ماهية المصطلح.

وفي ظل غياب معجم موحد للمصطلحات يرجع إليه الباحثون، وانعدام التنسيق المطلوب فيما بينهم، راح كل منهم يجتهد في هذا المجال، ويضع المصطلح الذي يراه مناسباً، حتى أصبح لبعض المصطلحات أكثر من مسمى. ونقف هنا عند مقالة للباحث محمد عبدالجليل الهجراوي حول المصطلح، نشرت في كلية الآداب بالرباط (الهجراوي ١٩٩٠)، تصدى فيها الباحث لمشكلة كتابة مصطلحات عصور ما قبل التاريخ باللغة العربية، وفق معايير معينة تعرّف القاريء بماهية المصطلح. وعلى الرغم من أهمية هذه المقالة، إلا أنها لم تتناول سوى عدد قليل من المصطلحات، كما أنها لم تُرفد بمحاولات أخرى تغني هذا المجال.

ولا بد من الإشارة إلى المقالتين اللتين نشرتا في العددين الأول والثاني من مجلة أدوماتو: الأولى للدكتور عبدالله الشارخ بعنوان: "إشكالية المصطلح الآثاري" (الشارخ ٢٠٠٠) والمقالة الثانية للدكتور العباس محمد علي بعنوان: "الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الآثاري: حالة ما قبل التاريخ"(محمد علي ٢٠٠٠). وقد كانت هذه المقالة سرد تاريخي للمراحل، التي مرَّ بها مصطلح (Prehistory) في اللغات الأجنبية، والتقسيمات التي حصلت على عصور ما

قبل التاريخ، دون أية إشارة من جانب الباحثينَ إلى مصطلحات محددة، نستطيع أن نبني عليها في إيجاد مصطلح موحّد على الرغم من أهمية عمل كل منهما.

ونشير في هذا البحث إلى بعض مصطلحات العصر الحجري القديم الأدنى والأوسط، التي تمكّنا من إيجاد مقابل لها وفق معايير معينة – يرد ذكرها في مكانها – بالاعتماد على قائمة بورد، التي أوردها في مقالته (Principes une methode des techniques de (debitage et de la typologie du paleolithique ancian et moyen)[٢]، وسنورد هذه المصطلحات لاحقاً في المكان المخصص لها من هذه المقالة (الجدول رقم ١)، على أن نستكمل في بحث قادم (إن شاء الله) المصطلحات، التي تغطي كافة عصور ما قبل التاريخ[٣].

١ . (Eclat Levallois): إن مسمى "لوفالوازيه" جاء من موقع "لوفالوا"، الذي عُثر فيه على هذه الأداة لأول مرة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٥). أما كلمة "شظية" (Eclat) فإنها تعني في اللغة العربية "كل فلقة من شيء"، و"الشظية" هي شقة من خشب أو قصب أو فضة أو عظم أو غيره (الإفريقي د. ت، ج ١٤: ٤٣٤). وإذا أنعمنا النّظر في هذا التعريف نجد تشابهاً بينه وبين تعريف فرانسوا بورد (Francois Bordes) لكلمة (Eclat)، التي قال عنها: إنها كسرة من صوان أو حجر آخر انفصلت عن النواة بضربة من القادح (Bordes 1961: 16). ونطلق عليها اسم "شظية لوفالوازيه" لتمييزها عن غيرها من الشظايا الأخرى ، التي تم تحديد شكلها مسبقاً بالتحضير الجيد للنواة، قبل انفصالها عن النواة (Bordes 1961: 32). وانطلاقاً من اسم المكان الذي وجدت فيه الأداة أول مرة، وماهية هذه الأداة، اقترحنا اسم "شظية لوفالوازية" لمصطلح (Eclat Levallois) ولهذه الأداة أشكال متعددة، منها الدائري، والمثلثي، والبيضوي، (الشكل ١).

٢ . (Lame Levallois): إن مسمى "لوافالوازية"، كسابقتها "الشظية اللفالوازية"، جاء من الموقع الذي عُثر عليه فيها أول مرة، ويعرّف بريزلون (Brezillon) كلمة (Lame) على أنها الأداة الناجمة عن عمليات التقطيع، ذات شكل متطاول (Brezillon 1971: 257). وقد عرفت المعاجم العربية كلمة "نصلة "أو "النصيل" على أنها: (حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة..، والنصيل حجر طويل مدملك قدر شبر) (الإفريقي د ت: ٦٦٤-٦٦٥). وإذا أمعنا النظر في هذين التعريفين وجدنا تشابهاً بينهما؛ إذ ينطلقان من معيار واحد في تعريف الأداة، ألا وهو الشكل المتطاول.

أما ما نقصده بـ "النصلة اللوفالوازية"، فهي تلك الشظية من الحجر الناتجة عن نواة لوافالوازية محضرة بطريقة جيدة، طولها يساوي أو يزيد عن ضعفي عرضها، وبهذا حددها بورد (Bordes 1961: 32). إذاً فالمعيار، الذي على أساسه سُمي مصطلح (Lame Levallois) "نصلة لوفالوازية"؛ هو شكل الأداة إضافة إلى المكان، الذي عثر عليها فيه أول مرة، (الشكل ٢).

٣ . (Pointe Levallois): هي: (شظايا مثلثة، حُصل عليها من ضربة واحدة على النواة اللوفالوازية الخاصة بالرؤوس). وانطلاقاً من هذا التعريف حدّد (بورد) مصطلح (Pointe Levallois) (Bordes 1961: 32) . وأما بريزلون فقد عرّف كلمة (Pointe) بأنها شظية تُرمى من قريب، أو بعيد، على أجسام الحيوانات، بغية اصطيادها (Brezillon 1971: 292)، وتتشابه وظيفة (Pointe)، من وجهة نظر بريزلون، مع وظيفة سنان الرمح، الذي هو عبارة عن قطعة حديدية مصقولة ملساء تكون على رأس الرمح (الإفريقي د. ت، ج ١٣: ٢٣٢).

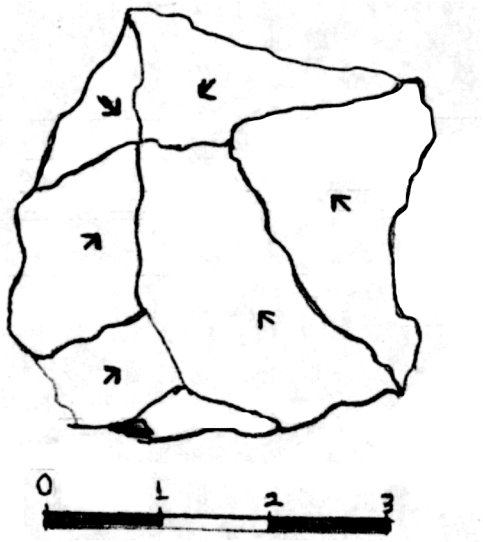

الشكل ١: شظية لوفالوازية (Eclat Levallois).

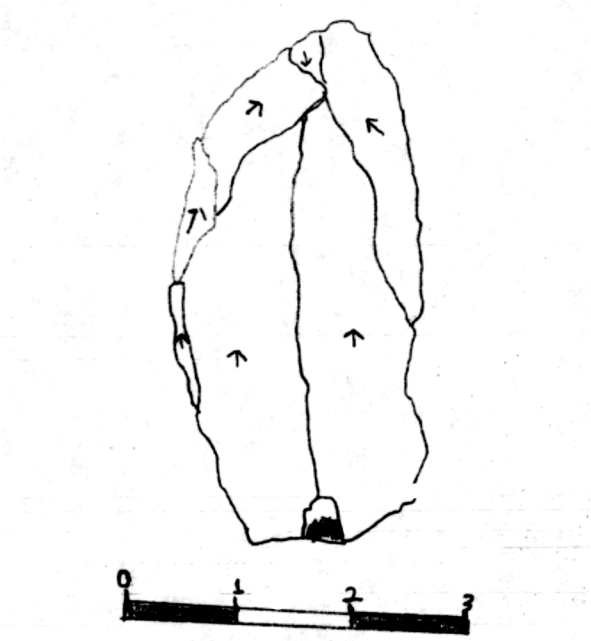

الشكل ٢: نصلة لوفالوازية (Lame Levallois).

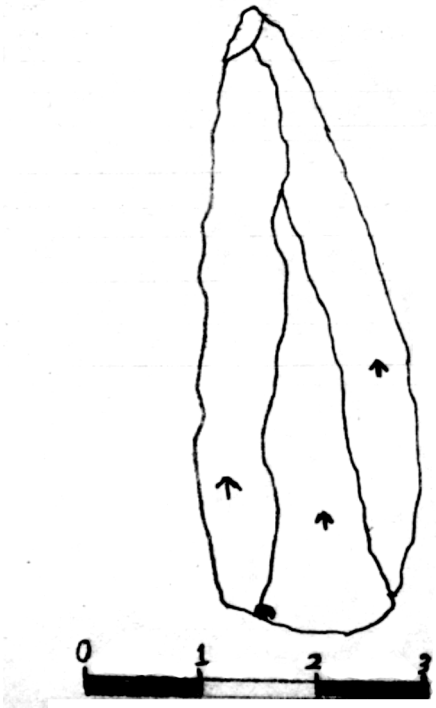

الشكل ٣: الشظية المثلثة (Pointe Levallois).

الشكل ٤: نماذج من المكشط (Grattoire).

ولكننا لا ندري إذا كانت "الشظية المثلثة" قد استخدمت حقاً في صيد الحيوانات؛ من فوق رمح أو قوس. و نظراً لخصوصية السنان بالرُّمح، فاننا نقترح تسميتها: "رأس لوفالوازي"، (الشكل ٣).

٤ . (Grattoire-Racloire): هناك صعوبة كبيرة في التفريق لغوياً بين معنى كل من (Grattoire) و (Racloire)، وهذا ما ذهب إليه كل من بريزلون والهجراوي (الهجراوي ١٩٩٠: ٣٧٧؛ Brezillon 1971: 228-229). وأمام هذا التداخل في التسميات فاننا نبقي على تسمية "مكشط" لكلمة (Grattoire)، (الشكل ٤).

أما الأداة (Racloire)، فتستخدم لتحضير الجلود وجرف ما عليها، بغية إعدادها للاستخدام، كما يرى (Brezillon) (Brezillon 1971: 229) وقد أورد معجم لسان العرب كلمة "قحف؛ بمعنى الجرف (الإفريقي د. ت، ج ٩: ٢٧٥).

وبناء على هذا التعريف، وانطلاقاً من وظيفتها، فإننا نقترح تسمية هذه الأداة بـ "المقحف"، علماً بأن هذا الاسم يرد كثيراً في كتب ومقالات د. سلطان محيسن وآخرين، ممن يتحدثون عن هذه الأداة، لا سيما المقحف اليبرودي المشهور. وللمقحف عدة أشكال، منها: المزدوج المحدب، والبسيط المستقيم، والبسيط المقعر، والمزدوج المحدب، والبسيط المحدب. والمقحف الأخير أكثر وجوداً في مواقع العصر الحجري القديم الأوسط في المشرق، (الشكل ٥).

٥ . (Burin): أجمعت التعاريف التي أوردها بريزلون لكلمة (Burin) على أنها قطعة حجرية نصلة أو شظية، تنتهي عموماً برأس حاد مائل وقاطع.

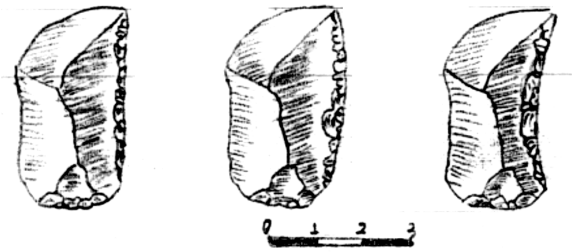

الشكل ٥: نماذج من المقحف (Racloire).

وهذا الوصف يتشابه مع تعريف لسان العرب للإزميل، وهو شفرة الحذاء، التي تنتهي بطرف قاطع وسميك عند مقبضها(الإفريقي ج ١١: ٣١١). وبناء على ذلك فإننا نسمي الأداة (Burin) إزميلاً (الشكل ٦).

٦ . (Percoire): وتعني الشظية أو النصلة، ما ينتهي طرفه برأس حاد تم تشذيبه، باقتطاعات جعلته حاداً تقريباً. هذا أحد التعاريف التي أوردها بريزلون لمصطلح (Percoire) (Brezillon 1971:280) وأشار في تعريف آخر للأداة على أنها كانت تستخدم في ثقب الجلود (Brezillon 1971:280 . وانطلاقاً من وظيفة هذه الأداة وشكلها، نقترح تسميتها "مثقباً" أو "مخرزاً"، (الشكل ٧).

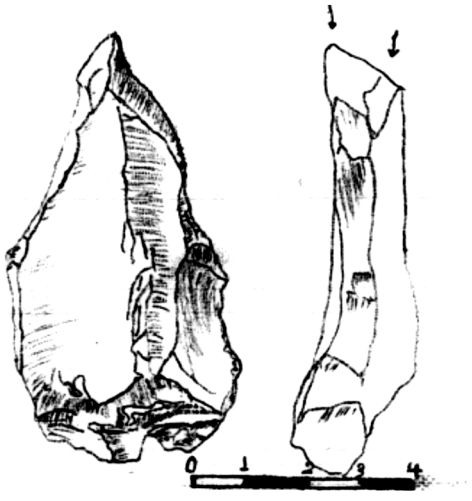

الشكل ٦: الإزميل (Burin).

٧ . (Encoch): تعمل على حافة الشظية أو النصلة بتشذيب متبادل (Bordes 1961: 23)، ويترك هذا التشذيب أثراً على حافة الأداة كأنه ثلم، وقد جاءت الكلمات (يثلمه ثلماً وثلمة فانثلم، وتثلم..) في لسان العرب بمعنى كسر حرفه وثلم، والثّلمه: الموضع الذي انثلم (الإفريقي)، وبناء على ذلك نقترح تسمية المصطلح (Encoch) ثلم؛ معتمدين على شكل الأداة، (الشكل ٨).

٨ . (Denticule): أداة لها أطراف ناتئة نجمت عن عمليات تشذيب إرادية (Brezillon 1971:206). ويشبه شكل هذه الأداة الأسنان، ومن هنا اقترحنا تسميتها بـ "المسنن" (الشكل

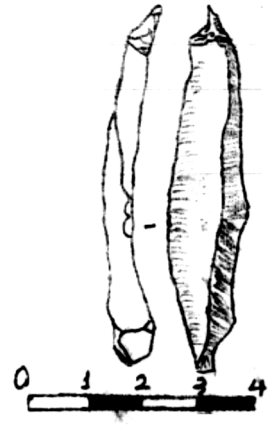

الشكل ٧: المثقب (Encoch).

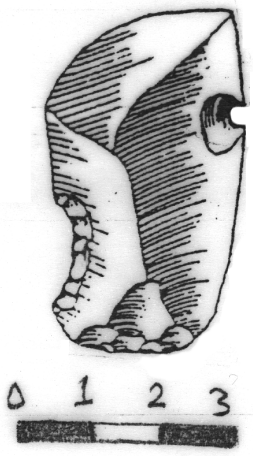

الشكل ٨: الثلم (Encoch).

الشكل ٩: المسنن (Denticule).

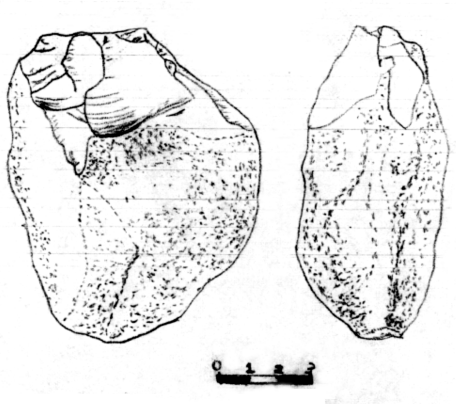

الشكل ٦: حجر قاطع (Chopping-Tool).

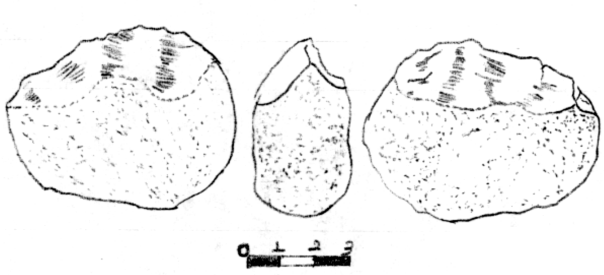

الشكل ١٠: حجر معدّل (Chopper).

٩).

٩ . (Chopper): هي عبارة عن حصى أو حجر عُدِّل بنحته من جهة واحدة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٦). وانطلاقاً من طريقة تصنيع الأداة اقترحنا تسمية مصطلح (Chopper) بـ "حجر معدّل"، (الشكل ١٠).

١٠ . (Chopping-Tool): هي - كسابقتها - عبارة عن حصى أو حجر، لكنه نُحت من الجانبين قصد التوصل إلى جهة حادة وقاطعة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٦). وانطلاقاً من طريقة تصنيع الأداة اقترحنا تسمية مصطلح (Chopping-Tool) بـ "حجرقاطع"، (الشكل ١١).

ويبين (الجدول رقم ١) الأدوات، التي اقترحنا لها تسميات باللغة العربية، إلى جانت تحديد المعيار، الذي اقترحت المسميات على أساسه.

وكما أسلفنا سابقاً، فإن هذه الأدوات مختارة من قائمة الباحث فرانسوا بورد، التي تضم ٦٣ أداة من العصر الحجري القديم الأدنى والأوسط.

الخاتمة:

وبعد، فقد طرح هذا البحث مشكلة بعض مصطلحات علم آثار عصور ما قبل التاريخ، وحاولت جاهداً إيجاد مصطلحات عربية لأدوات هذا العلم، على أمل أن نرفد هذا البحث - في المستقبل القريب بإذن الله - بدراسات جديدة تغطي جل مصطلحات عصور ما قبل التاريخ، إن لم نقل جميعها؛ لنصل في نهاية المطاف إلى كتابة هذا العلم باللغة العربية بمصطلحات موحدة تمكن القاريء العربي - أياً كان موطنه في المشرق أو المغرب - من تناول المصطلح والتعامل معه، دون اللجوء إلى المصطلح الأجنبي.

أحمد يوسف ذياب: قسم الآثـار - كلية الآداب - جامعة دمشق - سوريـا.

المعيار	المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
المكان + نوع الأداة	شظية لوفالوازية/ نموذجية	Eclat Levallois Typique
المكان + نوع الأداة	شظية لوفالوازية/ غير نموذجية	Eclat Levallois Atypique
وظيفة الأداة	رأس لوفالوازي	Point Levallois
وظيفة الأداة + شكلها	رأس لوفالوازي مشذب	Point Levallois Retouche
ترجمة حرفية	رأس لوفالوازي مزيف	Point Pscudo-Levallois
وظيفة الأداة + الحضارة	رأس موستيري	Pointe Mousterienne
وظيفة الأداة وشكلها + الحضارة	رأس موستيري متطاول	Pointe Mousterienne Allongee
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط مستقيم	Racloir simple droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط محدب	Racloir simple convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط مقعر	Racloir simple concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم	Racloir double droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم-محدب	Racloir double droit-convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم-مقعر	Racloir double droit-concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج محدب	Racloir double biconvexe
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مقعر	Racloir double biconcave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج محدب-مقعر	Racloir double convex-concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات مستقيم	Racloir convergent droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات محدب	Racloir convergent convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات مقعر	Racloir convergent concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف منحرف	Racloir dejete
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض مستقيم	Racloir transversal droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض محدب	Racloir transversal convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض مقعر	Racloir transversal concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف على وجه مستو	Racloir sur face plane
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب شديد الانحدار	Racloir retouch abrupte
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو ظهر مرقق	Racloir ados aminci
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب على الوجهين	Racloir retouch biface
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب متبادل	Racloir a retouch alterne
نقلاً عن الهجراوي	مكشط نموذجي	Grattoir typique
نقلاً عن الهجراوي	مكشط غير نموذجي	Grattoir atypique
وصف الأداة	إزميل نموذجي	Burin typique
وصف الأداة	إزميل غير نموذجي	Burin atypique
وظيفة الأداة	مثقب نموذجي	Percoir typique
وظيفة الأداة	مثقب غير نموذجي	Percoir atypique
شكل الأداة	ثلم	Encoche
شكل الأداة	مسنن	Denticule
طريقة تصنيع الأداة	حجر معدل	Chopper
طريقة تصنيع الأداة	حجر قاطع	Chopping tool

الجدول ١: قائمة ببعض المصطلحات الأجنبية لأدوات عصور ما قبل التاريخ مع ما يقابلها من المصطلحات العربية يقترحها الباحث .

الهوامش:

(١) نذكر في هذا المقام د. سلطان محيسن، الذي وضع عدة مقالات باللغة العربية في عصور ما قبل التاريخ مثل: عصور ما قبل التاريخ؛ بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ (الصيادون الأوائل)؛ بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ (المزارعون الأوائل)، وعدة مقالات نشرت في دوريات، مثل: الحوليات الأثرية السورية، ومجلة دراسات تاريخية، التي تصدر عن قسم التاريخ في جامعة دمشق.

(٢) جاءت هذه المقالة في مجلة (L, Anthropologie. Tom 54K 1`950, P 26)، كانت تضم في البداية ٤٠ أداة ثم اكتملت فيما بعد حتى أصبحت على الشكل الموجود في الجدول رقم ١ .

(٢) هنال مصطلحات أخرى، لم يتم تعريبها ضمن سلسلة قائمة بورد (Bordes)، ما تزال الحاجة ماسة لتصنيفها، وهي:

(Limace, Coutteau a dos typique, Coutteau a dos atypique, Coutteau a dos naturel, Raclette, Eclat tronque, Tranchet Mousteriene, Bec burinant alterne, Retouche sur face plane, Retouche abrupte alterne epaisse, Retouche abrupte alterne mince, Retouche bifce, Pointe de tayac, Triangle a encoche, Pseudo microburin, Encoche en bout, Hachoir, Rabot, Pointe pedonculee, outil pedonculee, Chopper inverse, Divers, Pointe foliacee).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

دياب، أحمد يوسف، ١٩٩٩، العصر الحجري القديم الأوسط في سورية (الديدرية نموذجاً)، بحث قدم لنيل درجة الدكتوراة (السلك الثالث)، في المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، المغرب، العام الدراسي ٩٨/١٩٩٩ .

الشارخ، عبدالله محمد، ٢٠٠٠ . "إشكالية المصطلح الآثاري"، **مجلة أدوماتو**، العدد الأول:٧١-٧٢ .

محمد علي، عباس سيد أحمد، ٢٠٠٠، "الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الآثاري: حالة ما قبل التاريخ"، **مجلة أدوماتو**، العدد الثاني: ٧١-٧٣ .

الهجراوي، محمد عبدالجليل، ١٩٩٠، "اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ (من قضايا المصطلح)، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية**، العدد ١٥: ٢٧٤-٢٧٨، الرباط، المغرب.

الإفريقي، ابن منظور، د. ت.، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Bordes, F. 1961. **Typologie du Paleolithique ancien et moyen,** C. N. R. S, Paris.

Bordes, F. 1980. “Le debitage levallois et ses variants”, **B.S.P.F** Tom77L21.

Brezillon, M. N. 1971. L**a denomination des objets de Pierre taillee,** C.N.R.S, Paris.

Inizan, Marie-Louis 1992. **Technology of knapped ston,** C.N.R.S, Paris.

Muhesen, Sultan 1992. “The transitional Lower - Middle Paleolithic industries in Syria”. In: Akazawa Takeru, **The evolution and dispersal; of modern Humans in Asia.** Tokyo.

Naama Goren Inbar 1992. The acheulien site of Gesher Bento Ya'koub: An African or Asian entity. In: Akazawa Takeru,**The evolution and dispersal of modern humans in Asia**, Tokyo.

Phellips, J. P. 1988., The upper Paleolithic of the Wadi Feiran southern Sinai, **Paleorient** Vol 14/2.
Muhesen, Sultan 1988. Prospection prehistorique dans la region d. Afrin (Syrie). **Paleorient** Vol 14/2.